معاجم المعاني في ضوء نظرية الحقول الدلالية

د. أحمد عزوز

جامعة السانية – وهران.

مقـــدّمة

يسعى هذا البحث إلى إبراز جذور نظرية الحقول الدلالية التي ظهرت في الدراسات اللغوية العربية القديمة تطبيقا وممارسة متجلية في أبرز صورها وأشكالها في معاجم المعاني وممهدة لما عرف بالرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد، وهي الأعمال والبحوث التي كانت القاعدة الأساسية للتأليف المعجمي الشامل.

وهي النظرية التي ركّزت في الدراسات اللسانية الحديثة الغربية على التصنيف والتحليل الدلاليين، فكانت الغاية منها مختلفة عمّا هي عليه في الدراسة العربية التي سعت إلى وضع المعجم وتأليفه.

وتوضّح المداخلة – أيضا – منهجيّة كلتي الدراستين.

ولا نهدف من هذا العمل قياس الغائب على الشاهد ، أو ما مضى على الحاضر، وإنّما لنبرز:

– أولا:قيمة هذه النظرية التي قادت العلماء القدماء إلى ما قادهم إليه.

- ثانيا: التأكيد على أنّ أعمال القدماء ما تزال لها مكانتها في البحوث المعاصرة،وبالتالي لا ينبغي أن نهملها أو نعتبرها غير ذي جدوى في حياتنا العلمية والمعرفية.

- ثالثا: التأكيد أيضا على أنّ تراثنا لا يزال يحتفظ بصفحات مشرقة تحمل في طياتها فاعلية وحيوية يكفي أن نعود إليها لنكتشف علاقة تراثنا بعصرنا.

- رابعا: النظر في تراثنا في ضوء ما يكتشف ويخترع من نظريات عند الشعوب الأخرى لمعرفة مكانتنا وتحديد ما ينبغي تجديده في فكرنا ومعارفنا.

بداية التأليف المعجمي

تعدّ العناية بالدّلالة من أقدم اهتمامات الإنسان الفكرية عبر الزمن وفي مختلف الحضارات والمدنيات، فلقد شغلت المفكرين الصينيين والهنود والفلاسفة اليونان والرومان.

وازداد التأمل في قضايا الدلالة في القرون المتأخّرة باعتبارها تهمّ كلّ مستعملي اللّغة الّتي تعدّ أساس التعبير والتفاهم والتواصل بين الأفراد والمجتمعات البشرية، وخاصّة ابتداء من1897 حين وظّف M. Breal لأول مرة مصطلح **sémantique** في كتابه ***"Essais de sémantique"*** والذّي يعود إليه الفضل في الاهتمام العلمي بالدلالة، فلفت بذلك أنظار اللغويين إلى المعنى وتغيّره ومشكلاته.

وكان للعرب المسلمين من لغويين وبلاغيين وغيرهم نصيب أوفر في معالجة كثير من المسائل المتعلّقة بدلالة الكلمات، فكتبوا عن المجاز في القرآن وغريب ألفاظه، والفرق بين الدلالة الذاتية والإيحائية، والمستعمل والمهمل، والعلاقة بين اللفظ والمعنى، وتطوّر معاني الألفاظ، والترادف والأضداد والمشترك.

وكان ذلك منذ تدوين مفردات اللغة العربية بعد اتّساع رقعة الإسلام حيث أصبح تحصيلها والعلم بأساليبها صناعة أو حرفة، فتهافت بعضهم على مشافهة الأعراب، وجمع الحكايات والنوادر، ورواية ما سمعه من كلماتهم وعباراتهم.

ولجأ آخرون إلى كتاب الله وسنّة الرسول محمد(ص) يحلّلونهما ويستخرجون منهما غريب كلماتهما، وهو جانب أثار المحافظة على سلامة اللّسان العربي خلال فهم النص القرآني الذي كان السبب في إثارة الكثير من القضايا العلمية الّتي غدت علوم مستقلّة فيما بعد.

وراح فريق ثالث يبحث عن مثل هذه المسائل وغيرها في ديوان العرب، فاجتمعت لديه ثروة جديرة ببحث مشكلاتها وتناول مكوّناتها، فكانت للدلالة نصيب من الدراسة والتحليل.

فأدّى ذلك إلى تطور الدراسة اللّغوية في وقت مبكّر في مختلف مظاهرها الصوتية منها والصرفية والتركيبية والدلالية، وكان من نتائجها أن أثرت علم الدّلالة إثراء عظيما، أنتجت معاجم المعاني ومعاجم الألفاظ، فاتّسمت بالمنهج والدّقة والسعة والتنظيم والوضوح.

الرسائل ومعاجم المعاني

ثمّة فرق واضح بين معاجم المعاني ومعاجم الألفاظ الّتي ترتّب الكلمات حسب الأصوات أو أول الكلمة أو آخرها، ثمّ تشرحها وتفسرها وتوضح استعمالاتها، ويقصد بها القارئ الذّي تعترضه كلمة صعبة أو غريبة لايفقه معناها.

ولعلّ الخليل بن أحمد الفراهيدي هو أول من ألف في المعاجم، منظما كتابه"العين" وفق أصوات الكلمات، وهي التي سمّاها ابن سيده "الكتب المجنّسة" [1]، وكان منها فيما بعد لسان العرب لابن منظور(ت 711هـ) والقاموس المحيط للفيروزآبادي(ت 811هـ).

أمّا معاجم المعاني أو الموضوعات فهي الّتي ترتّب الألفاظ في مجموعات تنضوي كلّ منها تحت فكرة واحدة، أو محور عام، ويقصد بها الكتاب والمنشئين والمترجمين الذين يحضرهم المعنى ويكونون في حاجة إلى لفظ يعبرون به عن هذا المعنى، فتساعدهم وتسهل مهمّتهم في البحث عن مطلبهم والحصول عليه في أسرع وقت ممكن[2].

وهي معاجم أسبق في الوجود أو معاصرة للمعاجم العربية المرتبة بحسب الألفاظ، وإن كانت بدايتها في شكل كتيبات صغيرة تناول كلّ واحد منها موضوعا من الموضوعات [3].

والملاحظ أنّ معجم "العين" شغل الدارسين عن مؤلفات كانت متزامنة معه، وكان مؤلّفوها معاصرين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وهي مؤلّفات ظلّ يشار إليها لمدّة غير قليلة على أنها تكوّن المراحل الأولى لبداية التأليف المعجمي العربي فقط، ولكن لو كانت كذلك لما استمرّت حتّى بعد ظهور عدد من القواميس الشاملة.

ولذلك فإن معاجم المعاني لم توف حقّها، لأن الباحثين قد مرّوا عليها مرورا عابرا لانشغالهم بالمعجم العربيّ الكامل أكثر من سواه، فكانوا يركّزون دائما على الخليل ومعجمه العين [4].

وظلّ اهتمام الدارسين بكتب الموضوع الواحد غير مناسب مع قيمة مضامينها، إذ – غالبا – ما جاءت الإشارة إليها تمهيدا للحديث عن التأليف المعجمي الشامل، وكأن هذه الكتب لا يمكن أن توجد إلاّ بتعلّقها بتأليفات أخرى.

والطريف أنّ أبا حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت322هـ) ألّف كتابا موسوما "بالزينة" اتّسم بمنهج المعالجة التاريخية لعدد من الألفاظ الإسلامية، فدرسها دراسة تطوّريّة وتتبع معانيها من العصر الجاهلي إلى الإسلامي، وما تركه الإسلام من آثار دلالية جديدة على الألفاظ، واضعا بذلك لبنة في المعجم التاريخي للألفاظ العربيّة.

ويرتبط هذا الكتاب بمعاجم المعاني إذ قصر بحثه على قطاع واحد من قطاعات الثروة اللفظيّة للحياة الدينيّة في اللّغة العربية، ملتقيا في هذه المعالجة باللّغوي trier الّذي دعا إلى بحث المجالات الدّلاليّة للكلمات أو قطاعاتها المختلفة، وكلّ مجال أو قطاع أو حقل لغويّ على حدة يحدّد دلالة كلّ كلمة تحديدا أدق.

وكانت بداية معاجم المعاني ممّا ألّف في الرّسائل التي جمع فيها الرواة الألفاظ، تتمحور بعضها حول موضوع واحد كالنبات والشجر والخيل والوحوش والشاه وخلق الإنسان للأصمعي(ت 213هـ)، والخيل والغنم والوحوش والسباع والطير لأبي عبيد، واللبن والمطر

والشجر لأبي زيد الأنصاري(ت 214هـ)، والنبات لأبي حنيفة الدينوري، وألّف أيضا في اللّباس والطعام والمعدنيات والأنواء والسحاب وكتاب البئر لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي(150هـ - 231هـ)[5].

وهي رسائل لغوية كثيرة جاءت في شكل مجموعات دلالية تتعلّق كلّ منها بموضوع واحد، وهي أعمال أسهمت بل كانت الأساس في وضع اللبنة الأولى للمعاجم العربية كما عرفت فيما بعد[6].

وهي تدل على خبرة العرب السديدة في تحليل عناصر المادة إلى أصغر أجزائها، ودقائقها وإعطائها المسمّيات والأوصاف فتفيد الباحثين والمعربين والمترجمين في القيام بدراساتهم ومهامهم العلمية.

وتعدّ كتب الحشرات أولى الرسائل من حيث الظهور، وقد يرجع ذلك إلى التأثّر بالقرآن الكريم الذي أشار إلى طائفة منها كالنحل والذباب والعنكبوت والجراد والبعوض، فتناولها المفسّرون وبحثوا فيها وتكلّموا عنها كثيرا، ممّا أدّى باللّغويين إلى التأليف فيها فبلغوا بها غايتهم ومبتغاهم[7].

وظهرت أيضا الرسائل اللغوية كالإبدال والأبنية ليونس بن حبيب وابن مرار الشيباني والفرّاء، كما ظهرت رسائل البلدان والمواضع كجبال العرب لخلف الأحمر، ومنازل العرب لابن مطرّف، والبلدان لابن هشام الكلبي[8].

ولاشك في أنّ هذه الرسائل هي الّتي أنتجت معاجم المعاني أو الموضوعات وهي الّتي دعاها ابن سيده "الكتب المبوّبة"[9]، واكتمل التأليف فيها من القرن الثالث الهجري حتّى منتصف القرن الخامس، فكانت ثمار ذلك"الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ)، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت(ت 244هـ)، و"فقه اللغة وأسرار العربية" للثعالبي(ت429هـ)، والمخصص لابن سيده(458هـ)، ونظام الغريب في اللغة للربعي، وكفاية المتحفّظ ونهاية المتلفّظ لابن الأجدابي[10]. و الألفاظ الكتابية لابن عيسى الهمذاني الكاتب (ت 320هـ)[11].

وليس هذا العمل إلا تصنيفا للغة بحسب المعاني و الموضوعات، و لم تتوقف هذه الكتابات بل استمرّت لأهميّتها للباحث والمتعلم، فقد ألّف الزجاجي (ت311هـ) كتابا عن خلق الإنسان، وابن دريد(ت321هـ) عن السرج واللجام، والمطر والسحاب، وابن خالويه (ت370هـ) عن الشجر، وغيرهم كثيرون ممّن ألفوا في الموضوع نفسه مثل ابن فارس (ت395هـ)، الزجاج(ت415هـ)،والإسكافي (ت421هـ)،وعبد الله بن سعيد الخرائي(ت480هـ) ومن المتأخّرين الصاغاني(ت650هـ)،وشرف الدين علي بن يوسف بن حيدرة الطبيب (ت667هـ)[12].

وكانت هذه الأعمال الجليلة المدوّنة لألفاظ اللغة العربية ومعانيها مدعاة إلى اهتمام المستشرقين بها في بداية هذا القرن، فنشر أو جست هفنر Hafner رسالة خلق الإنسان للأصمعي ضمن كتابه "الكنز اللغوي في اللّسان العربي" فصدر في بيروت 1903 وفي ليبرغ 1905 كما عني فريتش كرتكوي بنشر كتاب الخيل لأبي عبيد معمر بن المثنى، ونشر وليام رايت William Right كتاب صفة السرج واللجام لابن دريد.

ثمّ توالت العناية بهذا التراث الضخم من قبل العرب، فنشر عزّة حسن النوادر لأبي عبيد بدمشق في 1661، ونشر إبراهيم السامرّائي كتاب خلق الإنسان للزجاج ببغداد في 1963، ورمضان عبد التوّاب كتاب البئر لابن الأعرابي بالقاهرة في 1970 [13]، وحقق عبد الستار أحمد فرّاج كتاب خلق الإنسان لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت فصدر في طبعته الثانية سنة 1985 [14].

وهي أبحاث تنمّ عن أنّ فطاحله شعروا بمسؤوليّاتهم العلميّة والتربويّة اتجاه لغتهم والأجيال الّتي سيتعلّمونها ويعلّمونها، فأسهم كلّ واحد بالقدر الذي يغني الثقافة العربية ولغتها وبناء حضارتها المتميّزة، ومشاركا بحبّة حصاة في الصرح الحضاري والإنساني.

وما تزال العناية بهذا التراث مستمرّة، محاولة اكتشاف كنوزه الفكريّة والمعرفيّة وجعله مسايرا لتطوّر الحضارة والتّقدم العلمي.

مفهوم الحقول الدلالية

بعد الأبحاث الكثيرة والجهود المضنية والنظرة العميقة لميدان المعنى، انتهى علماء اللغة إلى تحديد الحقول الدلالية، فتبين لهم أنّ التحليل الدلالي لبنية اللغة من الأمور الضرورية والأساسيّة لمعالجة دلالة الكلمات سواء أكانت الدراسة تاريخية أم مقارنة أم تقابليّة. ممّا أدى إلى ظهور منهج نظريّة الحقول الدلالية الّذي صار يسهم في تحديد الدلالة بطريقة محكمة نسبيا ودقيقة.

ومن أهم مبادئ هذه النّظرية أن الوحدة المعجمية لا تشترك في أكثر من حقل، ولا توجد وحدة معجمية ليس لها حقل معيّن، ويجب مراعاة سياقها و تركيبها النحوي [15].

ويعتمد أصحاب النظرية على الفكرة المنطقيّة الّتي ترى بأن المعاني لا توجد منعزلة الواحدة تلو الآخرى في " الذهن الّذي يميل دائما إلى جمع الكلمات وإلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها، فالكلمات تثبّت في الذهن دائما بعائلة لغويّة " [16].

أي إن الكلمات لا تشكّل وحدة مستقلّة، ولا معنى لها بمفردها، ولكنّها تكتسب معناها في علاقتها بالكلمات الأخرى، وأن معنى هذه الكلمة لا يتحدد إلا ببحثها مع أقرب الكلمات إليها في إطار مجموعة واحدة.

فلفظ إنسان الّذي يعدّ مطلقا لا يمكن أن نعقله ونفهم حقيقته إلا بالإضافة أو بالنسبة إلى حيوان مثلا، ولفظ رجل بإضافته إلى امرأة، ولفظ حار لا يفهم إلاّ بإضافته إلى بارد وهكذا [17]

فالحقول الدلالية تقوم على فكرة المفاهيم العامة التي تؤلف بين مفردات لغة ما، بشكل منتظم يساير المعرفة والخبرة البشرية المحددة للصلة الدلالية بين الكلمات، وبذلك فإن معنى الكلمة كما يقول جون ليونز هو محصلة علاقتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي [18].

تصنيف المدلولات ضمن الحقول الدلالية

تصنف المدلولات في حقول مفهومية ألفها الفكر البشري، وتربط مجموع كلماتها دلالة أسريّة مشتركة نحو حقل الألوان في اللغة العربية، فهي تقع تحت المصطلح العام لون، وتضم

ألفاظا مثل: أحمر-أزرق-أخضر-أبيض- أصفر...أو حقل القرابة، أو سكن، أو الحيوانات الأليفة والمتوحشة أو باعتماد علاقة الاشتمال، الترادف، التضاد، الجزء بالكل، الكبير بالصغير، التنافر، أو علاقة التدّرج.

فالكلمات الّتي تمثل تقديرات في جامعة ما مثل: ممتاز-جيّد جدا-جيّد-مقبول-ضعيف-ضعيف جدّا، لا يمكن فهم كلمة منها إلا بالّتي فوقها أو في مستواها أو تحتها، وتحدّد قيمة كل منها من خلال المجموعة الّتي تنتمي إليها [19].

وقد أصبح لمنهج الحقول الدلالية تطبيقات كثيرة على الخطاب الأدبي يذكر منها دراسة قام بها بيير جيرو Pierre Guiraud حين تحليله معنى لفظ "الهاوية" Gouffre في ديوان "أزهار الشوك" لبودليرBaudelaire ، حيث أخرج الملامح المرتبطة بها مثل: سواد- ظلام- دامس- بارد-مثلج- مؤدي إلى الخوف والدوار، كما بحث عن الكلمات الّتي يمكن أن تعوضها في قيمتها أو تناقضها مثل: حطيئة -جحيم- واستنتج أنّ الديوان يخضع لتخطيط وبناء وتنظيم [20].كما قامت المستشرقة أوديت بيتي Odette petit بالبحث عن الحقول الدلالية في الفصل الأول من الأيام لطه حسين [21].

وفي ضوء ما سبق يمكن تعريف الحقول الدلالية بأنها مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج ضمن مصطلح أو مفهوم عام يحدّد الحقل ويعبّر عن مجال معين من الخبرة والاختصاص.

وقد عرّفها أولمان S. Ullmann بأنها:"قطاع متكافيء من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة" [22].

تطور نظرية الحقول الدلالية

تطورت نظرية الحقول الدلالية حين بدأ يهتمّ بها عدد من اللسانيين السويسريين والألمان والفرنسيين والإنجليز وغيرهم، فقام على سبيل المثالtrier بدراسة تنتمي إلى القطاع المفهومي حيث تناول مفردات المعرفة أو الألفاظ في اللغة الألمانية المنتمية إلى فترة مابين1200م-1300م فلاحظ أن الحقل المفهومي في هذه المرحلة كان مغطى بحقل معجمي

يتكون من ثلاث كلمات هي wisheit الحكمة-kunst -الفن-list- الصنعة أو المصطنع. ولكن بعد قرن صار مغطى بحقل معجمي يشتمل على wizzen-kunst-wisheitالمعرفة، وأوضح أنّه حدث تغيّر في معنى الكلمات الثلاث ضمن تحديد كلي لبنية اللفظة ولرؤية العالم الّتي تعكسها [23].

كما درست "ألفاظ الأصوات والحركة، وكلمات القرابة، والنبات والأمراض والأدوية، فقادت مثل هذه البحوث إلى التفكير في تأليف معجم كامل يضم جميع الحقول الدلالية الموجودة في اللغة" [24].

وسايرت هذه النظرية في العشرينيات من هذا القرن الاتجاه التاريخي الّذي كان سائدا آنئذ ثمّ اعتمد على المنهج الوصفي الذي نصّ على أنّ اللغة نظام من العلامات تكتسب قيمتها من خلال علاقاتها بالعلامات الأخرى.

وهي الفكرة الّتي لفت بها فردينان دي سوسير الانتباه حين تحدّث عن علاقات التداعي التي تنشأ بين الكلمات الآتية: ارتاب-خشي وخاف، وذهب إلى أنها محدّدة بمحيطها، شأنها شأن قطعة الفارس في لعبة الشطرنج، فهي لا تستمد قيمتها إلاّ من خلال علاقتها بالقطع الأخرى [25].

والكلمة من هذا المنظور تشبه الإنسان الّذي لا ينظر إليه منعزلا عن البيئة وأفراد المجتمع وإنما لمعرفة قيمته ينبغي النظر إليه من خلال علاقاته بالآخرين.

"وهكذا صار منهج تصنيف المدلولات حسب الحقول الدلالية أكثر المناهج حداثة في علم المعاني، لأنّه يتجاوز تحديد البنية الداخلية لمدلول الكلمات، بكشفه عن بنية أخرى تؤكد القرابة الدلالية بين مدلولات عدد ما منها" [26].

ولنظرية الحقول الدلالية جذور تاريخية تمتدّ في أعماق الفلسفة اليونانية، ولكن العناية بها أكثر بدأها الألمان على يد هردر Herder في 1772 وHumboldt1836 ثمّ أسهم في تطويرها Jost trier Porsig وL. Weisgerber وIPSEN وآخرون.

ومن الناحية الفلسفية فقد كانت محل دراسة من قبل Karl Bruler في 1934، وهي تنص على معالجة الألفاظ في علاقاتها بعناصر الكلام، وتركز على الطابع الشمولي للنظام اللغوي وتأثير السياق في دلالة الكلمات[27].

ويعتبر ماير(Meyer) من الأوائل الّذين لاحظوا هذه الظاهرة في 1910 لمّا بحث الرتب العسكرية، وبيّن أنّ كلّ مصطلح تشتقّ قيمته ضمن جدول الرتب الّتي تكون نسقا دلاليا[28].

وشهد علم اللغة الحديث محاولات عديدة طبقت نظرية الحقول الدلالية ومنها ما قام به Epsen حين صنف الكلمات المتصلة بالأغنام، وتربيتها في اللغات الهندو-أروبية.

وأشارت كتب اللغة إلى بحوث أخرى اقتصرت على قطاعات معينة من المعاجم كتلك التي قام بها Georges Mounin في كتابه"مفاتيح علم الدلالة" لبناء مجالين دلاليين، الأول خاص بالحيوانات المنزلية والثاني بكلمات السكن[29].

وتوجد دراسة أخري لأدنسون Adenson صنف فيها علاقات النباتات Les familles de plantes، وكذلك عالم الآثار Gardin الذي اعتمد في وصفه للأواني و الأدوات على تحديد ملامحها أو عناصرها الدلالية [30].

و لكن العلماء البارزين في تطبيق نظرية الحقوق الدلالية في تحليلاتهم اللسانية هم: تريرtrier- أولمان s- Ulmann و جورج ماطوري Georges Matore الفرنسي [31].

و من المعاجم التي صنفت على أساس المفاهيم:

- معجم روجيه Roget الانجليزي وطبع في 1852.
- معجم اللغوي لبواسيير Boissiere الموسوم بالمعجم القياسي للغة الفرنسية *Dictionnaire analogique de la langue française*وقد نشر في 1885م.
- معجم اللغوي الألماني دورنزايف Dornseif، بعنوان" الكلمات الألمانية في مجموعة مبوّبة" وقد اشتمل على عشرين حقل دلالي رئيسي وظهر في 1933.

- معجم اللغوي الفرنسي ماكيه Maquet الموسوم "بالمعجم القياسي" Dictionnaire analogique، رتب فيه الكلمات وفق الأفكار والمعاني ونشر في 1936م.

-معجم Cassirer بالاسبانية وظهر في 1942م.

-وأحدث معجم يحمل عنوان *Greek new testament* أي العهد اليوناني الجديد [32].

الحقول الدلالية في التراث اللّغوي العربي

تفطّن اللغويون العرب القدامى في وقت مبكر إلى فكرة الحقول الدلالية من خلال تأليفهم للرسائل الدلالية الصغيرة والمتنوّعة، الّتي ظهرت في بداية التدوين ثم تصنيف المعاجم الموضوعية بعد ذلك في هذا الميدان.

وكان الهدف منها تعليميا وعاملا لمساعدة الكاتب والشاعر، إذ المعاجم تمدّهما بالكلمات الّتي يرياها أكثر ملاءمة من غيرها للبحث عن ضالتهما وعرض أفكارهما في دقة وأناقة حول موضوع محدّد [33].

ولكن اهتمامهم المبكر بالرسائل ومعاجم المعاني لم يصل بهم بطبيعة الحال إلى مستوى علم اللغة الحديث حتى يؤسّسوا نظرية دلالية بمفهومها العلمي، فقد كان عملهم تطبيقيا أكثر منه تنظيريا.

وتختلف أعمالهم عن مثيلاتها عند الغربيين في هذا العصر لأسباب أهمها تغير الزمن وتطوره، وتوسع أفاق الدرس الدلالي وعمق تقنيّاته بفضل التقدم العلمي والتكنولوجي، وليس فيما سبق ضير يلحق بما قدّمه العرب اللغويون القدامى الّذين كانت لهم يد طولى في هذا الميدان، ولا يزال في تراثهم أفكار رائدة في حاجة ماسّة إلى من يزيدها دراسة وتحليلا حتّى تصل إلى حلقات الدرس المعاصر.

نماذج من نصوص من معاجم المعاني

ومن النماذج التي يمكن توضيح بها نظرية الحقول الدلالية ما ورد في كتاب البئر لابن الأعرابي، ففي فصل حفر البئر نجد التصنيف والترتيب كما يلي:

حفر البئر

أنبط ـــــــ حفر حتى يبلغ الماء:الماء هو النبط

فطر البئر ـــــــ إذا كان هو ابتدأها

إذا أنفذت البئر ـــــــ بئر خسيف وهي التي خسف جبلها

حفر حتى أصلد ـــــــ إذا وقع على موضع صلب،أو على حجر.

حفر حتى أكدى ـــــــ - - - - - - - - - - - - - - - - .

حفر فأجبل ـــــــ وقع على جبل.

أسهب ـــــــ إذا وقع على رمل أو تراب يغلبه [34].

فنلاحظ أن هذا الفصل قد احتوى على ما له علاقة بحفر البئر وهو حقل دلالي متميّز عن غيره من الحقول، ولنتبيّن الآن فصلا خاصا بصفة البئر.

صفة البئر

أرض مظلومة ـــــــ أرض لم يكن فيها حفر فحفر فيها.

أوقة (ج:أوق) ـــــــ إذا حفر قعدة الرجل.

بدء ـــــــ إذا ابتدأ حفر البئر

حفر معيق وعميق ـــــــ إذا حفر إلى أسفل

لجّف ـــــــ حفر في أحد جانبي البئر [35].

وإذا أخذنا كتاب خلق الإنسان لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت فإننا نلفيه كذلك يرتب ألفاظه وفق موضوعات ويصنفها حسب الحقول الدلالية ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

الحمل والولادة

امرأة نسء ـــــــــــ أول ما تحمل المرأة

مرء ـــــــــــ استبان حملها

مثقل ـــــــــــ عظم في بطنها

نطفة ـــــــــــ يكون ما في بطنها أربعين ليلة

علقة ـــــــــــ ----------أربعين ليلة

مضغة ـــــــــــ ----------أربعين ليلة.

الـــــــولادة

اليتن ـــــــــــ أن تخرج رجلا الصبي قبل رأسه

المأقة ـــــــــــ شدة بكاء الصبي

الإغيال ـــــــــــ أن ترضع الأم وفي بطنها ولد، فإذا فعلت به ذلك أضرّ به في ذهاب لحمه وقوّته.

وحمى ـــــــــــ إذا اشتهت المرأة على حملها.

جنين ـــــــــــ الولد ما دام في بطن أمّه

المخاض ـــــــــــ إذا دنا ولادها:يكون للناس والبهائم.

الطلق ـــــــــــ وجع الولادة ويكون للناس خاصة

سقط ـــــــــــ ألقت الولد لغير تمام

مخدج – خديج ـــــــــــ أسقطت المرأة ولدها لتمام شـــهوره ولكـــن الولـــد ناقص[36].

إنّ هذه الدقة في التقسيم والتصنيف هي التي جعلت أحمد زكي يكتب تقريرا عن هذا الكتاب فيقول:" والكتاب ينفع مجامع اللغة العربية، وأعضاء المجامع، وأعضاء لجانه، أولئك الآخذين اليوم في إحياء القديم النافع من المصطلحات.

ولجان الطب، ولجان الحياة، في هذه المجامع، نجد فيه الكثير من الألفاظ التي يمكن إحياؤها(مثل ذلك الوارد في باب الأجنّة والحمل والوضع، بل في سائر الكتاب).وكذلك ينفع اللغويين من الأدباء والباحثين، وتجمعهم أيضا لجان تلك المجامع، فالكتاب يتناول مظاهر الحياة جميعا، ممثلة في الأجسام، لأطوار الحياة، منذ الطفولة، إلى أن يصبح الرجل رمّة وتصبح المرأة كذلك.إلى غير ذلك من الشؤون، وهي كثيرة متنوّعة" [37].

وفي" باب في أسنان الناس والدواب وتنقل الأحوال بهما وذكر ما يتصل بهما وينضاف إليهما، يتحدث أبو منصور الثعالبي عن تطور الإنسان فيقول:" ما دام في الرحم فهو جنين، فإذا ولد فهو وليد، وما دام لم يستتم سبعة أيام فهو صديغ لأنّه لا يشتدّ صدغه إلى تمام الصدغة، ثم ما دام يرضع فهو رضيع.ثمّ إذا قطع عنه اللبن فهو فطيم.ثمّ إذا غلظ وذهبت عنه ترارة الرضاعة فهو جحوش...ثمّ إذا دبّ ونما فهو دارج، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو حماسيّ، فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور..." [38].

إنّ هذا التفصيل في عمر الإنسان ما هو إلاّ ترتيب وفق الحقول الدلالية التي ترتبط بحياة الإنسان، وهو عمل يفيد المدرسين والمشتغلين بالترجمة إذ كثيرا ما يحتاجون إلى مثل هذه المصطلحات للتعبير عن أغراضهم.

والمتصفّح لمعجم المخصص لابن السيدة يدرك التقارب بينه وبين المعاجم الموضوعية الحديثة على الرغم من الفارق الزمني الذي يفصله عنها. وهو عمل ضخم يقدّم صورة شاملة للغة العربية، وله أهميّة خاصة بسبب منهجه ووفرة المادة الّتي جمعها، فهو يقع في سبعة عشرة جزءا (17ج)، جمع الكلمات حول بعض المحاور الرئيسية المختلفة إذ وضع ما يتعلق بالسماء والنجوم في فصل، وكذلك الأرض وأجزائها، والإنسان وما يتعلق به من أسماء وأعضائه وصفاته وأخلاقه، والنباتات وأنواعها كما وضع فصولا للمسائل النحوية والصرفية.

وقد سار في ذلك على أساس التدرّج المعتمد على المنطق والعقل وهو يوضّح ذلك حيث يقول:" فأما هذا الكتاب، من قبل كيفيّة وضعه فمنها تقديم الأعم فالأعم على

الأخص فالأخص، والإتيان بالكليات قبل الجزئيات، والابتداء بالجوهر والتفقية بالأعراض، على ما يستحقه من التقديم والتأخير، وتقديمنا كم على كيف، وشدّة المحافظة على التقييد والتحليل" [39]

خاتمة

إنّ الحقول الدلالية مجال معرفي وعلمي كثيرا ما أهمل في دراستنا اللغوية عبر العصور على الرغم من أهميته في التحليل والفهم. وهو يبرز أن التراث اللغوي العربي لا يزال يحتفظ بعناصر حيوية وفاعلة، يحتاجها الدارس في كل حين ليموضع نفسه في قوة اتّجاه التراث لينطلق منه للتزوّد من ثقافة الآخر، وبذلك يجمع ثقافتين الأولى أصيلة وراسخة الجذور رسوخ الرواسي وأخرى حديثة تعدّ عاملا مهما وأساسيا في التمدّن ومسايرة ركب الحضارة.

وهكذا يحدث التواصل المعرفي ويتنامى بين أجيال سابقة كدّت واجتهدت فبنت وعمّرت وخلّدت روحها،وأجيال لاحقة تسعى لإثبات الذات وترسيخها في عالم لا يرحم من تخلّى عن تراثه وما شيّده الأجداد.وإنّ تحقيق الحضارة والمدنية لا يتمّ بصورة مثلى ما لم يحتفظ بالتراث وتكون الإفادة من التكنولوجيا وصور الرقمية المختلفة وأشكالها.

الهوامش:

[1] – ابن سيده ، أبي الحسن علي بن اسماعيل، المخصص. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ج1/ص10.

[2] – عمار شلواي، درعيات أبي العلاء المعرّي، دراسة دلالية. الألفاظ الخاصة بالإنسان وحياته الاجتماعية والاقتصادية. رسالة ماجستير، مخطوط بمعهد اللغة العربية وآدابها، سنة1995،ص:53.

[3] – ينظر محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط:7، سنة 1981،ص:154.

[4] – ينظرد. أحمد طاهر حسنين، نظرية الاكتمال اللغوي عند العرب.ط:1، سنة1987، ص:162.

[5] – أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، كتاب البئر، حقّقه وقدم له ووضع فهارسه د.رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،سنة:1970.

[6] – ينظر الدكتور حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، ج1، ص:122.

[7] – ينظر د.حسين نصار، المرجع نفسه.ج1/ص:123.

[8] – ينظر عمار شلواي، المرجع السابق.ص:51.

[9] – ابن سيده، ج1/ص:10.

[10] – ينظر أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات.دار الفكر، دمشق. سورية الطبعة الأولى، 1996، ص:306.

[11] – عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني الكاتب، الألفاظ الكتابية، راجعه وقدم له د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط:2، سنة:1998، بيروت لبنان.

[12] – ينظر أحمد طاهر حسنين، نظرية الاكتمال اللغوي، ص:161.

[13] – ابن الأعرابي، كتاب البئر.

[17] – ينظر د.كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية، ط:2، سنة1985، ص:294.

[18] – ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدلالة.ص:303.

[19] – ينظر د.أحمد مختار عمر، المرجع نفسه، ص:79، وعمار شلواي، المرجع السابق،ص:29.

[20] – Marcel cressot; laurence james. Le style et ses techniques. p.u.f.11,edition 1983 paris p.93.

[21] – أوديت بيتي، تحليل نصي للفصل الأول من كتاب طه حسين الأيام. ترجمة بدر الدّين عرودكي، مجلّة المعرفة العدد 182.نيسان 1977، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق سورية.

[22] – عن عمار شلواي، المرجع السابق. ص: 28.

[23] – ينظر عمار شلواي ، المرجع السابق. ص:31.

[24] – د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات.ص:303.

[25] voir ferdinand de Saussure; Cours de Linguistique,- payot. Paris 1997p.170 à 175

[26] – ينظر د. كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق. ص:296.

[27] – موريس أبو ناظر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، الفكر العربي المعاصر ع/19/18/سنة 1980.ص:53.

[28] Adam schaff, Introduction à La Sémantique.- Traduction du polonais par Georges lisovski anthropos. Paris 2 édition p.284.

[29] – بيير جيرو، علم الدلالة. ترجمة منذر عياشي. ط:1، ص:75.

[30] – ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص:296.

[31] – ينظر عمار شلواي، المرجع السابق، ص:35.

[32] – ينظر د.أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:85.

[33] – ينظر د.أحمد مختار عمر، المرجع نفسه، ص:306.

[29] – بيير جيرو، علم الدلالة. ترجمة منذر عياشي. ط:1، ص:75.

[30] – ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص:296.

[31] – ينظر عمار شلواي، المرجع السابق، ص:35.

[32] – ينظر د.أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:85.

[33] – ينظر د.أحمد مختار عمر، المرجع نفسه، ص:306.

[34] – ابن الأعرابي، كتاب البئر، ص:55 – 56.

[35] – المصدر نفسه، ص:55.

[36] – أبي محمد ثابت بن أبي ثابت، خلق الإنسان، ص:1 – 10.

[37] – المصدر نفسه، ص:1 – 10.

[38] – أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص:59.

[39] – ابن سيده، المخصّص، ج:1/ص:10.